

لغيرنا يمكن أن تتغير الشخصية بتغير الظروف والعوارض أما لنا نحن فلا يمكن مهما تجزأت بلادنا وكيفما تشكلت... هناك حقيقة واحدة أن السوريين أمة تامة.

سعادة

## آخر الكلام

### فصام سعودي

جورج كعدي

تلمس جلياً بقوة الحال الفصامية المفروضة على المجتمع السعودي وأفراده، من سائر الفئات والطبقات والجنود (يمنية وغيرها) والانتعاشات والمذاهب، بسبب ازدواجية الوجه وتضارب أحكام الشرع مع الواقع وتناقض العيش والفعل (خاصة بين الداخل السعودي والخارج) والتضاد بين مظاهر الاجتماع وتقاليد من ناحية وشلال الصورة المنمهر عبر الفضاء الإعلامي المفتوح ووسائل الاتصال والتواصل الحديثة من ناحية أخرى... فكيف لا يُصاب المجتمع السعودي، بل الفرد السعودي، حكماً بالحال الفصامية المشار إليها؟ وكيف لا يتبدى الإنسان السعودي عامة (مع استثناءات لدى أفراد سعوديين متنورين وعلى درجة عالية من الوعي، وهم كثر) للناظر من الخارج أو من بعيد إنساناً فصامياً بامتياز، لوقوعه تحت وطأة التناقضات التي أشربنا إليها والتي تحتاج إلى تفصيل.

معروف لدى العالم أجمع أن السعودية محكومة بنظام ملكي عائلي أوليغارشي ورأسمالي متوحش، ترفده ثروة نفطية تستأثر بها عائلة آل سعود وحاشيتها المنتفخة من «أمرء» ومقاولين كبار ورجال أعمال محظيين ومقرّبين، ولا توزيع لهذه الثروة، أو حتى لفئاتها، على السعوديين «العاديين» الذين لا وظيفة لهم ولا حقوق بل عليهم واجب الطاعة والعمل (إن وُجد) والاكتماء براتب محدود ليس محسوباً بين الرواتب المرتفعة في العالم، وليس لهذا «المواطن العادي» أدنى حق في الاعتراض أو الشكوى أو الرفض أو التظاهر، إنما عليه القبول بواقعه والخضوع المزدوج، للسلطة السياسية الحاكمة من جهة، وللسلطة الدينية والشريعة المتشددة من جهة ثانية، فأحكام الشرع، الوهابية المنبع والأصول، تحرم أكثر بكثير مما تسمح، والدنيا كلها تعرف كميّة المحرّمات في المجتمع السعودي، وفي مقدمتها الفنون الكبرى على أنواعها، من مسرح وسينما وموسيقى وتشكيل، بلوغاً إلى اللباس (للجنسين) تقريبا في حدود متفاوتة) والنقاب أو البرقع المفروض على المرأة ممنوعة من قيادة السيارة ومن أمور أخرى عديدة تسلبها حرّيتها وكرامتها كفر مكتمل الإنسانية... فضلا عن منع الأديان والمذاهب الأخرى، غير الإسلامية بل غير السننية، من ممارسة طقوسها ومن امتلاك معابدها الخاصة... بلوغاً إلى منع الاختلاط في المدارس والجامعات والكثير من الأماكن العامة، حتى يخال زائر هذه البلاد أنه يعيش في ظلمة قرون وسطى أو بالأحرى قرون بدائية متخلّفة من تاريخ البشرية.

هذا في الداخل السعودي. أما في الخارج فأمر آخر، على النقيض تماما. يتصرف الفرد السعودي، إلى أي فئة أو طبقة انتمى، خارج بلاده كأنه خرج لتوه من سجن صحراوي كبير مليء بالقيود والممنوعات والمحرّمات، فيفجر كامل مكيواته مأكلا ومشربا وملبسا، والأهم جنسا ومجونا وتهكّا، ويتذيرا جنونيا إن كان من فئة الحكام والأمرء والمحظيين والمتنعمين بثروات الشعب ومحتكرها، أما الآخرون فلنيزيد بهم حدود ضمن إمكاناتهم. بيد أن الجميع متساوون في التنقيص عن الكتب والحرمات داخل مملكة الظهر والظلال وسوط المطاوع، كل على طريقته وتبعاً لقدراته. وبدا من هذا التناقض الشديد بين أسلوب العيش في الداخل السعودي وخارجه، تتشكل الشخصية السعودية الفصامية، ذات الوجهين والنمطين والمعيارين «الخلقيتين» دينا وممارسة، فالإنسان السعودي الملتزم بأحكام الدين والشريعة وبالاحترام والتحليل والشعائر والتقاليد والعادات المحافظة إلى أقصى الحدود، هو نفسه غير المتقيد بكل ما سبق حين يكون خارج بلده، سائحا أو طالبا أو في رحلة عمل... فكيف لا يكون هذا المواطن السعودي المزدوج الوجه والقناع شخصية فصامية غير سوية بامتياز؟!

نأتي ثانيا إلى الإعلام السعودي وهنا ذروة التناقض والتضارب والتضاد بين مجتمع على هذا القدر من التشدد الديني والتزمّت الاجتماعي والتحريم والمنع الفني والأدبي (مصادرة مئات العناوين في معرض الكتاب الأخير هذه السنة في الرياض أكبر برهان على التصنيق والمصادرة الفكرية)، وفصائيات ممولة من الحكم السعودي مباشرة، أو من نافذين في الداخل، وهي في أي حال غير ممنوعة وغير محرّمة لا قانوناً ولا شرعا، بل يفاخر بها السعوديون من أعلى مسؤول إلى آخر مواطن، كما أنها موجّهة أصلا إلى المشاهد السعودي أولا وتحديدا، عبر الإعلانات والسلع المرّوج لها، بحيث لم نسمع يوما أن مجموعة «إم بي سي» محرّمة مثلا في السعودية أو صدرت في حقها فتاوى تحريم مشاهدة، بل على العكس تعتبر «إم بي سي» بقنواتها المتنوعة والمتعددة وإمكاناتها الضخمة «فخر الصناعة الإعلامية السعودية»، تماما مثلما هي «العربية» كقناة إجبارية جميع مذيعاتها سافرات ولا واحدة منهن تضع حجابا أو نقابا أو برقعا، مثلما هو مفروض على المرأة في السعودية!

نتساءل هنا باستغراب شديد: كيف تكون قنوات «إم بي سي» (وسائر القنوات الفضائية العربية والأجنبية عبر فضاء البث المفتوح) أولى لدى المتفرّج السعودي الذي يشاهد أفلاما أميركية وهندية وعربية وتركية وسواها لا تخلو من السفور التام وبعض العري واللمسات والقبيلات واختلاط الجنسين إلى الدرجة الحميمة، فضلا عن أفلام الحركة والعنف وغيرها، ولا يكون ذلك متعارضا مع تقاليد هذا المجتمع المقل والمتمسّد والمتزمّت والصارم في تطبيق أحكام الشريعة الوهابية والمطبّق إلى اليوم عقاب الجلد والرجم وقطع اليد، إلى ما هنالك من أساليب قرون الظلم والظلام؟! سؤال محير، مشير للعجب، إلى أقصى الحدود، وهنا أيضا واحد من مظهرات الفصام وعوارضه، بين رجال متعصّبين يؤذون الصلاة خمسا في اليوم ويطلق كثر منهم اللحية الاصولية أو السلفية ثم يجلس مساء لمشاهدة أفلام عاطفية أو تشويقية أو مرعبة عبر شاشة التلفزيون؟! أهو الشخص نفسه أم نحن إزاء امرئ ذي شخصيتين على نحو فصاميّ بين الملاحم والتصرفات؟! وماذا عن المرأة السعودية التي لا تخرج إلا بالنقاب وتمنع من قيادة السيارة وتتماهى مساء عبر شاشة التلفزيون مع النساء الأميركيّات أو الهنديّات أو التركيات أو المصريات الراقصات والكاشفات عن مفاتهن؟!! إلا تشتهي المرأة السعودية تلك صورة المرأة الأخرى، تلك الغربية والموردن، السفارة والمنتزجة والحرة مع جسدها ومفاتنها؟! بلى، حتماً، تفعل وتتماهى، وإن تسافر خارج السعودية تفجر هذا المكبوت شراء للملابس وأدوات التبرج والأكسسوارات النسائية، فأين الحجاب أو النقاب أو البرقع في هذا الوضع؟! وأمام أي امرأة وأي وجه حقيقي نحن؟! مثل آخر على الفصام الحاد والفاقع.

ماذا أيضا عن الوف الشباب السعوديين الذين يسافرون إلى الولايات المتحدة أو أوروبا، أو حتى إلى لبنان ومصر وسواهما من الدول العربية الأقل تزمّتا من السعودية، للتحصيل الجامعي فنرى كيف ينخرطون فوراً في هذه المجتمعات التي تميل إلى الحرية بنسب متفاوتة، خاصة الولايات المتحدة وأوروبا حيث تسود حرية العلاقات، الجنسية بخاصة، وحيث الحرية المطلقة مأكلا ومشربا وملبسا، فلا يبقى الشاب السعودي ميّزا أو معروفا إلا بلون بشرته... أو بقيامه بعمل إرهابي من تنظيم «القاعدة» أو سواها. وحين يعود هؤلاء الشبان إلى السعودية يواجهون صعوبة شديدة في التأقلم مجددا مع تقاليد مجتمعهم المتخلّفة والبالية، فتضعب هويّتهم الفردية والجماعية، ويشعرون بالغربة... وبحالة الفصام عيناها.

المجتمع السعودي نموذج فريد لحالات الفصام، الفردية والمجتمعية، ولعلّه المجتمع الوحيد على وجه الأرض يعاني فصاما بهذه الحدة، والمثل المناقض له هو المجتمع الإيراني، الذي رغم محافظته وطابعه الديني الغالب، لا نرى في تصرّفات أفرادهم عدم انسجام بين الداخل والخارج، ولا على مستوى الإعلام (جميع المذيعات في المحطات الإيرانية محجّبات)، ولا على مستويات التحريم والمنع والرقابة. ففي إيران شخصية إنسانية منسجمة مع مبادئها وأخلاقيّاتها وتقاليدها، أمّا في السعودية فذروة التناقض وضباع الهوية والقيم.



## مكافحة الإرهاب... مقاومة

ما تشهده بلادنا من إرهاب مروّع تنفذه مجموعات متطرفة، هو نسخة عن الإرهاب الصهيوني العنصري. فذاكرة شعينا لا تزال تمتلئ بصور المجازر الإرهابية التي ارتكبتها العدو الصهيوني بحق شعينا من كفر قاسم إلى قانا. والإرهاب الصهيوني المتماهي، دورا ووظيفة، يتجدد ويتصاعد ويعيث قتلا وإجراما بواسطة قوى متطرفة، وهذه القوى تحظى بدعم ذات الدول التي تدعم العدو الصهيوني.

وإن ما يحدث في الشام والعراق ولبنان من مجازر وجرائم تستهدف أبناء شعينا، يستدعي وقفة حاسمة وحازمة في مواجهة الإرهاب وداعميه... والمسؤولية تقتضي أن ينخرط المجتمع بكل شرائحه في مواجهة هذا الإرهاب وغرائز القتل والإجرام.

إن الحزب السوري القومي الاجتماعي وانطلاقا من إيمانه بوحدة المجتمع وسعيه إلى تحصينه والدفاع عن حقنا وشعبنا، يؤكد على أولوية مواجهة الإرهاب، وهذا شكل من أشكال المقاومة التي يتمسك بها لتحرير الأرض ومواجهة العدوان...

وعلى هذا الأساس جاءت دعوة الحزب إلى قيام جبهة شعبية لمواجهة الإرهاب. وهو أعد مشروعاً وأكّية لعمل الجبهة، وسيبدأ قريباً بجولة على الأحزاب والقوى والهيئات للتشاور في هذا الشأن، كما أعد مجموعة ملصقات حول خطر الإرهاب وُرعت في العديد من المناطق، وتنتشرها «البناء» تباعاً...

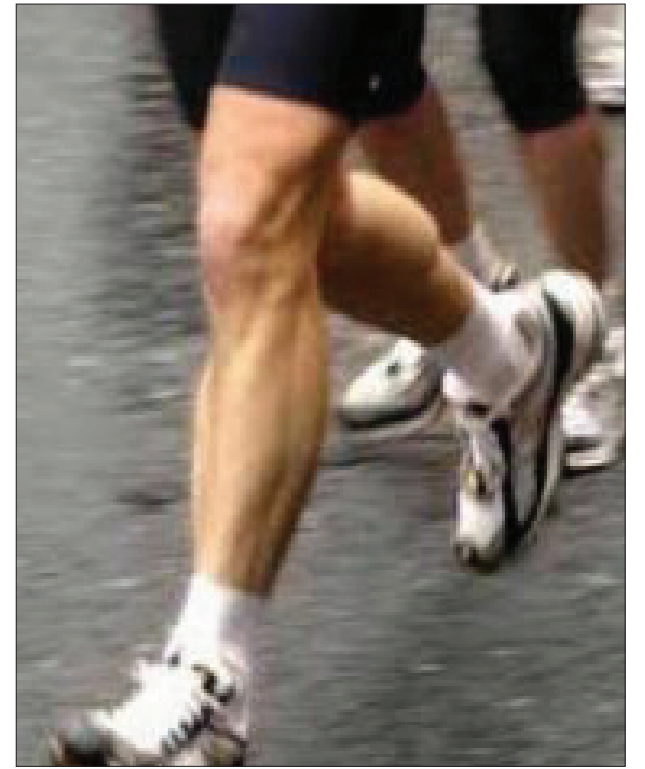
## أشجار تضيء بنفسها لإنارة الشوارع



اقترح مخترع هولندي تقنية تزود الأشجار بالقدرة على إنارة نفسها ببيولوجياً، ما يحد من الحاجة إلى الأضواء في الشوارع. وقال الباحث دان روزغارد، إنه استلهم فكرته من قناديل البحر، مشيراً إلى أنه يمكن العلماء استخدام الخاصية المضيفة لدى قناديل البحر، والبراعات، وهندستها جينياً لتتلاءم مع الأشجار، ما يسهم في إنارة الشوارع والأرصفة بوسيلة جميلة وأقل استهلاكاً للطاقة. على رغم إطلاق حملة جمع أموال تهدف إلى تنفيذ هذه الخطة، إلا أن باحثين قالوا إن قوة الضوء التي ستنتجها الأشجار ستكون أقل بآلف مرّة من الضوء العادي، لذا فهي قد لا تكون مفيدة جداً.

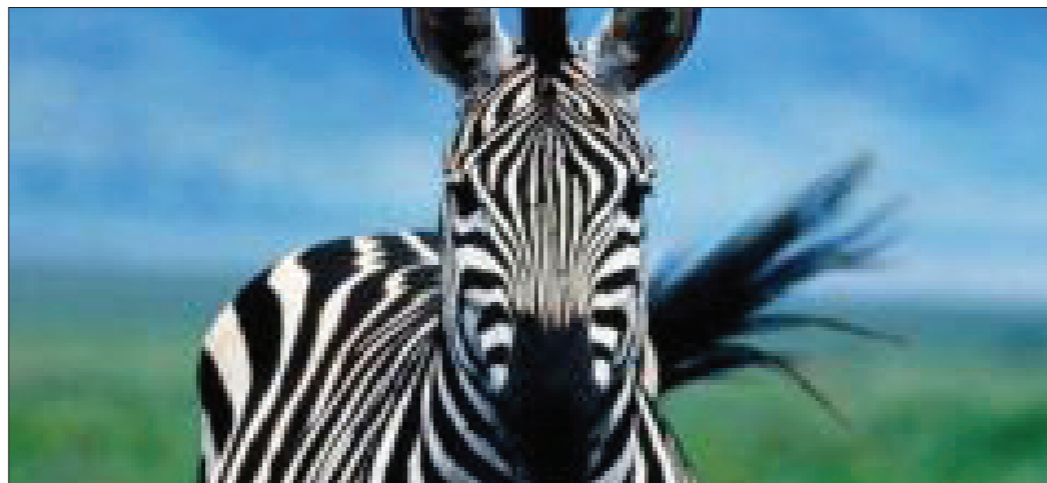
## الرياضة في المياه الدافئة تخفض ضغط الدم

كشفت دراسة جديدة أن القيام بتمارين رياضية في المياه الدافئة، يمكن أن يساعد في خفض ضغط الدم المرتفع. وذكرت صحيفة «ديلي ميل» البريطانية أن الباحثين في جامعة «ساو باولوس» البرازيلية وجدوا أن التمارين الرياضية في المياه الدافئة يمكن أن تكون علاجاً لآلاف مرضى ضغط الدم المرتفع، الذين لا يستجيبون للعلاجات. وشملت الدراسة مرضى بقي ضغط دمهم مرتفعاً على رغم تجربتهم ثلاثة أنواع مختلفة من الأدوية، ومارسوا الرياضة 3 مرات في الأسبوع في مياه سخنت إلى 32 درجة مئوية. وأوضح العلماء أن ضغط الدم الذي لم يتجاوب مع الأدوية تراجع بشكل ملحوظ، عندما قام المرضى بالتمارين في المياه الدافئة. وشدوا على أن درجة حرارة المياه مهمة كون المرضى لم يسجلوا تحسناً في ضغط دمهم عندما مارسوا التمارين في مياه درجة حرارتها 27 درجة مئوية.



## الخطوط التي تغطي جسم الحمار الوحشي... تبعد الـ«تسي تسي»

قال باحثون أميركيون، إن الخطوط البيضاء والسوداء التي تغطي جسم الحمار الوحشي تهدف على الأرجح إلى إبعاد ذبابة «تسي تسي» والذباب الذي يمتصّ الدم، من الاقتراب منه. وقال الباحثون من جامعة «كاليفورنيا - ديفيس»، في الدراسة التي نشرت في دورية «نايتشر كومونيكتشن»، إن الاحتمال الأكثر ترجيحاً هو أن هذه الخطوط تبعد الذباب الطفيلي. وتستند الدراسة إلى تجربة أظهرت أن الذباب المتطفل الذي يتغذى من دماء الحيوانات، يبتعد عن السطوح المخملية ويفضل الأسطح ذات اللون الموحد. وكانت خطوط الحمار الوحشي قد حرّرت العلماء على مدى عقود، منذ رائد نظرية التطور، تشارلز داروين، حين كان السؤال يتمحور حول ما إذا كان الحمار الوحشي، طور هذه الخطوط للتعبويه والتخفي، أو للحماية من خلال تأثير الإرباك الناجم عن الإبهار الحركي، أو لتفادي الحرارة، أو لها دور في التزاوج وغيرها.



### الإدارة والتحرير

بيروت - شارع الحمراء - بناية الميزان  
 هاتف 01-748920.1-2  
 فاكس 01-748923  
 الموقع الإلكتروني www.al-binaa.com  
 البريد الإلكتروني info@al-binaa.com  
 التوزيع شركة الأوائل 01-666314.5

هيئة التحرير  
 رمزي عبد الخالق  
 نظام مارديني - جورج كعدي  
 المدير الفني محمد رمال

رئيس التحرير  
 ناصر قنديل

البناء  
 تصدر عن «الشركة القومية للإعلام»  
 صدرت في بيروت عام 1958

المدير الإداري  
 زياد الحاج  
 المدير المسؤول  
 محمد عقل

المستشار العام  
 ربيع الدببس